

محاضرات وندوات مصورة - الأردن - جامع التقوى - الحلقة ٢٠٥ : ردّ على رسالة موجهة إلى صلاح الدين الأيوبي.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١٥-١١-١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته الغر الميامين، أمناء دعوته، وإقادة ألويته، وارض عنا وعنهم يا رب العالمين، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا.

اعتذار للبطل صلاح الدين الأيوبي :

أخواننا الكرام؛ ألقيت قبل عدة أسابيع في دمشق - أقرأ لكم نصاً دقيقاً- خطبة عن تهويد القدس، واعتذرت نيابة عن المسلمين للبطل صلاح الدين الأيوبي، وجهت له رسالة، الذي حررها من الفرنجة، وقال بعد أن حررها: لن يرجعوا إلى بلادنا ما دمننا رجالاً، هكذا قال.

وقد كتب أحد الأخوة المؤمنين في موقعه المعلوماتي، أخ كريم سمع الخطبة له موقع معلوماتي في الانترنت كتب ما يلي: أنا مضطر أن أذكرها بأكملها إلا أنني حذفته كل كلمات الثناء عني لأنني أخجل، يقول هذا الأخ نقلاً عن موقعه في الانترنت - قبل أن أكمل من فضل الله كان لي درس في إذاعة القدس هذا الدرس يسمعه اثنا عشر مليوناً يومياً، يبث في دمشق والإذاعة نقلت إلى حلب ودرعا والسويداء والأردن وفلسطين، مجموع المستمعين لهذا الدرس يومياً اثنا عشر مليوناً- هذا الأخ يقول: وأنا في طريقي إلى العمل، وأنا أقود مركبتي كالعادة، وأقلب المذياع على بعض المحطات التي طالما أحببت أن أستمع إليها، وفي إحداها ولا داعي لذكرها كي لا تظنوا أنني أقوم بالدعاية لها، استوقفني حديث جميل للدكتور محمد راتب النابلسي يقول فيه وهو يبكي مع علمي بأن الدكتور عرف عنه أنه هادئ عند الحديث، فما الذي جعله يبكي بهذه الحرقة؟

ماذا سمع؟ سمعني وأنا أخاطب البطل صلاح الدين قلت له: عذراً لك يا صلاح الدين وألف عذر، أنت الذي طردت الفرنجة القدامى من بلاد الشام ومصر والعراق، وأنت الذي قلت: لن يرجعوا إليها ما دمننا رجالاً، عذراً لك يا صلاح الدين لقد رجعوا بعد الحرب العالمية الأولى إلى بلاد الشام، ودخل قائدهم ديغول دمشق وزار قبرك، ووضع رجله فوق قبرك، وقال لك: ها قد عدنا يا صلاح الدين.. قصة مشهورة دخل للقبر ووضع قدمه عليه وخاطبه قال: ها قد عدنا يا صلاح الدين، فعذراً لك وألف عذر، ولقد رجعوا ثانية إلى العراق، ولسان حالهم يقول: ها قد عدنا يا صلاح الدين ثانية.. ولئلا تقلق علينا كثيراً أيها البطل إنهم قالوا حينما عادوا إلينا: عدنا كي تتعموا بحرية كحريتنا، وسلام

كسلامنا، ورخاء كرخائنا، وهم يخططون لشرق أوسط جديد، وكبير، ولا أتمنى عليك أيها القائد الفذ أن تسأل هل تحقق لكم ذلك؟

الحقيقة المرة أن الذي تحقق إفقار وإضلال وإفساد وإذلال وإبادة بالضبط كلمات دقيقة، إفقار، وإضلال، وإفساد، وإذلال، وإبادة، واقتتال، وتدمير للمنشآت، ونهب للثروات، ونسف لكل المنجزات إنها ردة ولا صدّيق لها، - حروب الردة قام بها الصدّيق - إنها ردة ولا صدّيق لها. إنها هجمة تترية ولا قطز لها. إنها حملة فرنجية وأنت غائب عنها.

عذراً لك يا صلاح الدين، لقد كانت معالم الحزن والأسى ترتسم على وجنتيك ولم يكن للابتسامة طريق إلى شفّتك، فلما كنت تسأل: لماذا لا تضحك يا صلاح الدين؟ كان جوابك المنكر: إنني أستحي من الله أن أضحك ولا يزال الأقصى بيد المعتدين.

عذراً لك يا صلاح الدين وألف عذر، عذراً لك وألف عذر يا صلاح الدين، يا أيها القائد الفذ لما حلّ بنا من بعدك، ومن أجل أن تبقى منسجماً مع إيمانك الكبير نقول لك: هان أمر الله علينا من بعدك فهتاً على الله، وقد تحققت نبوءة القرآن الكريم فينا فقال تعالى:

﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا﴾

[سورة مريم: ٥٩]

وقد لقينا ذلك الغي.

صلاح الدين النموذج الأمثل للإنسان المسلم الذي أفنى عمره في سبيل الله :

طبعاً البرنامج الذي يقدمه الدكتور يتكلم عني، هو ساعة كاملة، وللأسف حينما أدت الإبرة عليه كان في نهايته، ولكن مما يدعو للسرور أن هذا البرنامج يعاد بثه ليلاً فقلت في نفسي: قبل أن أعود وأستمع لهذا الحديث سأبحث في مكتبتي الصغيرة عن أي شيء يذكر البطل صلاح الدين، وعند الساعة الحادية عشرة ليلاً موعد إعادة الدرس كان الموعد مع الأسى والحزن الذي انتابني، ومازلت منذ عدة أيام ينتاب قلبي الأسى والحزن. ولا أدري ما هذه القدرة التي حباها الله عز وجل للمتكلم الخطيب للحديث عن البطل صلاح الدين؟ هذا البطل هو النموذج الأمثل للإنسان المسلم الذي أفنى عمره في سبيل الله، فلنستمع ماذا قال هذا الأخ في مطالعته، إلى أن أستمع إعادة الدرس الساعة الحادية عشرة ليلاً راجع كتبه حول صلاح الدين، إن الإنسان لا يقاس أبداً بعمره بل يقاس بما ينجزه بهذا العمر، ومهما بحثنا وتعمقنا ورجعنا للتاريخ الحديث والقديم حتى الغائر في الأعماق لن نجد إلا في المقدمة سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم، سيد البشر، حبيب الحق، سيد الخلق، ومن بعده صحابته الكرام الذين حملوا على عاتقهم نشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها، ومن بعدهم التابعون بإحسان إلى يوم الدين، ولكن حديثنا اليوم عن شخصية لا يوجد مثلها في التاريخ الحديث، وقل من يتكلم عنها إلا وشعر بالعزة والكبرياء والأنفة، سبع و عشرون دولة أوربية جاءت

تحتل بلادنا، هذا البطل وحده بإيمانه القوي وإعداده انتصر عليهم، إنه النموذج الأمثل للإنسان المسلم الذي أفنى عمره في سبيل دينه ووطنه وأمته.

مقتطفات من حياة صلاح الدين المعطاءة :

من مقتطفات حياته المعطاءة، قيل: يا صلاح الدين لماذا لا تبتسم أو تضحك؟ فأجاب - في رواية أخرى- كيف أبتسم أو أضحك ولي أخوة يذبحون في بلاد الإسلام؟ وأنت تشاهد القتلى في العراق، الموضوع قديم، وفي أفغانستان، وفي فلسطين والسودان والصومال، ألا تتأثر؟ أخوة لك مؤمنون هدمت منازلهم، قتل شبابهم، نهبت ثرواتهم. قال: كيف أبتسم أو أضحك ولي أخوة يذبحون في بلاد الإسلام؟

فيا أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وصل نبأ لصلاح الدين الآن أن القائد الفرنجي أرناط حاكم الكرك في فلسطين قام بقطع الطريق على الحجاج المسلمين، وقتل النساء والأطفال والشيوخ، وكان يقول: قولوا لمحمدكم أن يدافع عنكم، أرناط كان حاكم الكرك قطع الطريق على الحجاج وقتل الحجاج نساء وأطفالاً، فماذا كان موقف صلاح الدين؟ قال: اعتزل صلاح الدين في بيته وأخذ بالبكاء يومين كاملين وهو يقول: يا رب هل تسمح لي أن أنوب عن رسولك محمد في الدفاع عن أمتك؟ ومازال يكررها حتى اليوم الثاني ثم أعد جيشه وخطب فيهم هذه الخطبة القصيرة: يا جند محمد إن أرناط حاكم الكرك في فلسطين قد تجبر وعلا، وقتل حجاج بيت الله الحرام، وسفك دماء الأطفال والنساء، وهو يقول: قولوا لمحمدكم أن يدافع عنكم، وأنا قد وهبت نفسي لأنوب عن محمد في الدفاع عن أمتي، ولأقص رقبتك، فمن أراد الذهاب معي فليحطني، فقال جنده جميعاً بصوت واحد: كلنا فداء لرسول الله، وعندما دارت المعركة معركة حطين هذه المعركة المشهورة عنه، وانتصر فيها صلاح الدين، وأسر أرناط- وقع في الأسر - قال له صلاح الدين: أنت الذي قلت: قولوا لمحمدكم أن يدافع عنكم؟ قال: نعم، فأجاب صلاح الدين: وأنا العبد الفقير الذي تراه أمامك سأنوب عن رسول الله في الدفاع عن أمتك، وقص رأسه.

معركتنا مع الطرف الآخر معركة حياة أو موت :

أخواننا الكرام؛ الله موجود، وعوده موجودة بأي وقت، بأي زمان، مهما اشتد الكفر إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ فأنا منذ عشر سنوات بخطبة إذاعية قدمت اعتداري للبطل صلاح الدين، الذي قال: لن يرجعوا ما دمنا رجالاً.. رجعوا مرتين..
لذلك القضية قضية إيمان، قال الله تعالى:

﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

[سورة البقرة: ٢٤٩]

مهما كان العدو قوياً الله أقوى، والآية الدقيقة جداً:

﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

[سورة الأنفال: ٦٠]

ما كلفنا أن نعد القوة المكافئة، انظر إلى دقة الآية، لم يكلفنا رحمة بنا أن نعد القوة المكافئة، لكن كلفنا أن نعد القوة المتاحة فقط،

﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾

والباقي على الله عز وجل، هذا عظمة الدين، ففة قليلة تفتح ربع الأرض، جيوش المسلمين وصلت إلى الصين، وأنا كنت بفرنسا وقفت في مكان قال: هذه بواتيه، إلى هنا وصل عبد الرحمن الغافقي، من الغرب إلى مشارف باريس، ومن الشرق إلى الصين، هذا الدين دين الحق، فنحن يجب أن نعتر بهذا الدين، ونطبق هذا الدين، حتى نستحق وعود رب العالمين، الله موجود، هو القوي، وأنا أقول: لا تقلق أن أعداءنا يملكون القنبلة الذرية نحن نملك القنبلة الذرية، نملك أولادنا، الذي عنده ابن يجب أن ينشئه على الإيمان، وإلا كان رقماً تافهاً، مليارات ممليرة فسق، وفجور، وزنا، ومسللات، وأفلام منحطة، هكذا العالم أصبح كله.

فإذا وجد بيت مسلم طاهر، هذا البيت كلما نمت هذه الدائرة الصغرى يمكن أن يحقق النصر، فاشكروا الله عز وجل، لأن الله عز وجل إننا في وقت انتبهنا أنه يوجد دين عظيم، وهذا الدين سبب نصرنا وقوتنا وسعادتنا وسبب هدوتنا في بيوتنا.

فالقضية خطيرة؛ الطرف الآخر معركته معنا معركة بقاء أو فناء، أي شيء أنا أسميه: فوبيا الإسلام، فنحن عندما فتحنا بلاد الغرب نشرنا الإسلام فيه.

كنت بمؤتمر بفرنسا من عدة سنوات، هذا مؤتمر بورجي يحضره مئة و خمسين ألف شخص، وعمره خمس و عشرون سنة، أحدث رقم يدخل خمسون فرنسياً بالإسلام يومياً بفرنسا من أم وأب فرنسيان، الحل الوحيد الدين الإسلامي.

الآن أوسع دين بالنمو في الأرض، عام ألفين و عشرين متوقع أن تكون فرنسا كلها مسلمة، لكن نحن مع الأسف نحن قصرنا في فهم الدين في بلادنا، وهؤلاء الذين أسلموا فهموا الدين على حقيقته، يوجد قصص من الصعب أن تصدق، امرأة باريسية متبرجة منفلتة الآن محجبة.

فلذلك أخواننا الكرام هذه معركة حياة أو موت، هذا الدين دين الله عز وجل، دين الوحيين الكتاب والسنة، وأنت جندي أنا أقول: لا تقلق على هذا الدين إنه دين الله، لكن اقلق ما إذا سمح الله لك أو لم يسمح أن تكون جندياً له، اقلق على نفسك هل يتاح لي أن أكون جندياً لهذا الدين؟

الدعوة إلى الله فرض عين :

الكلمة الطيبة صدقة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((بلغوا عني ولو آية))

[البخاري عن ابن عمرو]

سمعت نقطة بالدرس تأثرت بها لسبب أو لآخر، جالس مع شريكك بالعمل حدثه بها، سهران سهرة
اذكرها، هذا الذكر اليومي، قال الله تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

[سورة يوسف: ١٠٨]

فالذي لا يذكر الله بل لا يدعو إلى الله على بصيرة ليس متبعاً لرسول الله، من منكم يصدق طبعاً
يوجد معي أدلة أن الدعوة إلى الله فرض عين؟ لو سألت شخصاً منكم: لماذا تصلي؟ يقول لي:
الصلاة فرض، وأنا أثبت لك أن الدعوة إلى الله فرض، أول دليل:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

[سورة يوسف: ١٠٨]

فالذي لا يدعو على بصيرة ليس متبعاً لرسول الله، الآية:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾

[سورة آل عمران: ٣١]

أي إن لم تدع إلى الله على بصيرة لست متبعاً لرسول الله، وعندئذ لست ضمن من يحبهم الله، لكن
الدعوة على بصيرة، والدعوة فرض عين سهلة جداً فقط في حدود ما تعلم ومع من تعرف فقط،
وليست دعوة عامة، سمعت في هذا الدرس نقطة تأثرت بها بالبيت أخبر زوجتك بها، أخبر بناتك،
كنت بسهرة عند صهرك ما حديث الناس اليوم؟ الأسعار والسياسة، والله أصبحت موضوعات مملّة،
أنت تقول شيئاً موجوداً بالجزيرة، كلهم عندهم جزيرة، ماذا يوجد عندك زيادة عنهم؟ معلوماتك كلها
من الشاشة، فالحديث بالسياسة والشؤون العامة يسبب كآبة والله أحياناً تسهر سهرة على كثرة ما
نفعل من جلد للذات يقول لك: عندنا فوضى ولا يوجد عندنا أمانة، تنهار آخر الجلسة، دائماً جلد
الذات يعمل تثبيطاً، يعمل كآبة، فساداً أخلاقياً واجتماعياً ودينياً، والاستعمار ذكي جداً كان يضع
جيوشه عندنا الآن ثقافته عندنا.

ضبط البيت و العناية بالأسرة :

مرة أقاموا بفرنسا أربع محطات إباحية تبث للجزائر فقط، هذا الشعب المؤمن غايتهم أن يفسدوه،
والله الذي لا إله إلا هو كل الفضائيات التي فيها أشياء إباحية والله مقصود بها المسلمون فقط، من
أجل أن تخرج عن دينك، حتى قرأت مقالة غريبة عن اليابان، اليابان واجهت العالم بالإنتاج، فأمريكا
وجهت لها إفلماً إباحية من أجل أن يسهر الإنسان طوال الليل على هذه الأفلام، وباليوم الثاني
يستيقظ متأخراً و متعباً ليس عنده إمكانية كي يركز، والخطة وصلت إلى هنا.

أنا أقول: الذي عنده شاشة يجب أن يضبطها، وسوف أقول لكم قصة عن عالم بالشام محترم جداً
جداً، توفي رحمه الله، جاءه شخص قال له: سوف أقول لك قصتي، قال له: أخبرنا بها على المنبر،

ما القصة؟ قال له: كنا نتابع القنوات أثناء تقلب القنوات مرّ مشهد إباحي ألغيته فوراً، ابني شاب وابنتي شابة بالصف الحادي عشر، نمت أنا و والدتهما، استيقظت الساعة الثانية سمعت أنيناً، ثم رأيت منظرًا مخيفاً بين ابنتي وابني، دفعت الثمن.

أخواننا الكرام؛ إذا لم تضبط منزلك، لم تضبط الأجهزة، عندك شباب بنات صبايا وبينهن وبين الزواج عشرون سنة، أي يرى أشياء لا يراها إلا بعد عشرين سنة وهو يراها الآن، هذه الشاشة والله إذا لم تضبطها الآن تدمر الأسرة كلها، تنهي الدين كله، وهذه حرب جديدة، الحرب القديمة كانت بالقوة المسلحة، الآن حرب ثقافية، فتحتاج إلى أن يكون كل شيء مضبوطاً، الشاشة كلها محطات أخبارية فقط لا تدع أفلاماً، الأفلام لها خطر كبير جداً، إن شاء الله بجلسة أخرى أتكلم عن الأفلام. الأفلام تتخطى خطوط دفاعك، أنت عندك مبادئ وقيم، القصة لها قوة تأثير مذهلة، تدخل إلى خط دفاعك وتخرقه، والذي أنت تتكره في النهار تفعله بعد حين دون أن تشعر، لأنك اخترقت.

يوجد حرب ضد المسلمين مخيفة أكثرها ثقافية، كانوا يجبروننا بالقوة المسلحة على أن نفعل ما يريدون، الآن يجبروننا بالقوة الناعمة المرأة على أن نريد ما يريدون، العبارة دقيقة جداً، فلا بد من ضبط البيت.

سأقول لكم كلمة أخيرة؛ أحياناً يكون الشاب والشابة أذكيا جداً، يعرفون طبع والدهم لا يطلعون على شيء من حياته الخاصة، مادام هناك أجهزة بالبيت فهذه خطيرة جداً، أحياناً يوهمك ابنك أنه صاحب دين، ويمكن من شهر لم يصل، لا تكن ساذجاً، مادام هناك أجهزة تنقله إلى عالم آخر، نحن بالخمسينات إذا دخل شخص إلى السينما في الشام تقوم عليه الدنيا ولا تقعد، يضره والده، الآن بكل بيت يوجد ملهى ليلي، بكل بيت من خلال الشاشة يوجد ملهى ليلي، عندك شباب وبنات إذا لم تضبط الشاشة يوجد خطر كبير.

وأنا والله أقول لكم ناصحاً، وأنا عملي بالدعوة تأتيني تجارب كثيرة جداً، يأتيني باليوم خمس مشاكل أو ست كبيرة جداً تعرض عليّ، أنا بحكم عملي بالدعوة يوجد عندي كم من المعلومات مخيفة، تأتي من مخالفة الشرع، بارك الله بكم.

والحمد لله رب العالمين

العبد الفقير عندي سفر إلى مؤتمر إسلامي، المجلس الإسلامي السوري سوف أغيب بدءاً من غد إلى يوم الثلاثاء القادم، أي سوف أغيب حوالي عشرة أيام إن شاء الله، وسنستأنف الدروس بعدها، أنا أعدكم مادمت في عمان الدرس ثابت، إلا إذا كلفت أن أحضر مؤتمراً فاعذروني، وأنا معكم دائماً إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

والحمد لله رب العالمين